Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

تحقيق حول شخصية لقمان الحكيم
والتطبيقات الواردة فيه

الدكتور محمد باقر حجتي ـ استاذ جامعة طهران
عبد الله موحدي محب عضو الهيئة العلمية بجامعة كاشان

ان موضوع قصص القرآن والشخصيات المذكورة فيها يعتبر من المواضيع المثيرة للبحث التي قد طرحت بنحو جاد منذ عقود من قبل المختصين في العلوم القرآنية.

بما ان المضامين القصصية التي تفوق المهمة الفنية للقصة تعني في القرآن أكثر من ابطال وشخصيات القصة ولم تشكل الشخصيات والابطال المحور الرئيسي فيها، لم يتعرض القرآن لخصائص الشخصيات والابطال إلّا بقدر الحاجة.

ان الابهامات المثارة حول الشخصيات القرآنية قد أدت الى طرح البحوث النظرية والتاريخية من قبل المختصين في العلوم القرآنية بنحو واسع ومن جملتها ما يلي:

*** تطابق بعض الاسماء الواردة في القرآن كذي القرنين وادريس عليه السلام مع بعض الشخصيات التاريخية.**

*** وحدة المسمى الحقيقي لبعض الاسماء القرآنية كموسى عليه السلام، وتعدده.**

*** هل ان الأعلام القرآنية مجرد رموز أم لا؟ وغير ذلك من الابحاث.**

البحث هنا يدور حول احدى الشخصيات المشهورة في القرآن (لقمان الحكيم) ولا سيما البحث والنقد في التطبيقات التاريخية التي عُرضت حول هذه الشخصية الإلهية الفذّة.

ومع غض النظر عما ورد من الوحي الذي يسد أي منفذ للشك عند المؤمنين بالقرآن في الشخصية الواقعية والتاريخية لـ «لقمان الحكيم» فانه ـ كما قال بعض الفضلاء المعاصرين ـ قد ورد حوله في آثار الماضين ما يدل على واقعيته بحيث يمكن عدّه من الشخصيات التي كانت تعيش في برهة من الزمان ومع

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

صعوبة اظهارها مما يحيط بها من الغموض والابهام يمكن القطع بوجوده في بعض القرون الخالية[١] قدس سره.

١ ـ لقمان الحكيم أو لقمان بن عاد؟

ينبغي الاشارة قبل كل شيء الى ان ما وصل من الأدب الجاهلي الى العصر الاسلامي أو بان بعد ظهور الاسلام قد يذكرنا شخصاً باسم «لقمان بن عاد» أو «لقمان بن عاديا» بانه كان يتمتع بسلطة ونفوذ وامكانيات كثيرة.

بل انه كان يحظى بخصائص فريدة وعاش دهراً طويلاً. وانه ـ على ما ورد في الامثال الجاهلية ـ كان يمارس الواناً من الاعمال القبيحة والمنكرة كالسرقة وقتل النفس والزنا وغير ذلك[٢] ولا ريب ان شخصية لقمان التي كانت مؤيدة من عند الله، منزهة عن أية شائبة من الشرك والفساد والمنكر.

يقول الجاحظ (٢٥٥ هـ) بعد نقل شرذمة من حكم لقمان الحكيم: «... وأكثر من هذا، مدح الله اياه وتسميته الحكيم وما اوصى به ابنه»[٣]. بينما ان بعض الكتّاب المعاصرين العرب أعرض عن هذا صفحاً أو أغمض عينه على ذلك المقدار العظيم من الامثال الجاهلية ـ انقياداً للعصبية والعواطف الشعبية بدلاً عن اتباع اصول النقد العلمي؛ فقال في رده على كلام الجاحظ ـ الذي يذكر فيه الاختلاف البيّن بين لقمان بن عاد المذكور في الاساطير ولقمان الحكيم المؤيد بالقرآن[٤] ما لفظه: ... ولا اجد سبباً لهذا التخريج سوى حرص المفسرين على عدم تعظيم شخصية جاهلية[٥].

والانصاف والنقد الحر يقضيان بأن لا علاقة ـ كما يبدو من الامثال الجاهلية والروايات التاريخية ـ بين لقمان الحكيم ولقمان الذي ورد ذكره في الامثال والاقوال التي تعود الى العصر الجاهلي والذي لو صح كونه في برهة من الدهر فانه كان يعيش في عصر قوم عاد والنبي هود عليه السلام ومع غض النظر عن الاختلاف بين صورتي شخصيتهما فان هناك بون زماني يقدر بـ ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ سنة تفصل بين هود وداود النبي عليهما السلام الذي ـ كما يظهر من الروايات ـ كان لقمان الحكيم يعيش في زمانه.

٢ ـ لقمان وايسوب

قد يقال ان بعض فضلاء اوربا قبل قرنين أو ثلاثة قرون كان يظن ان لقمان الحكيم في مشرق الأرض هو ما اشتهر في الغرب بـ «ايسوب» وهو كاتب الاساطير في الاغريق القديمة وقد شك في وجوده التاريخي وسُمّي لقمان الحكيم عند بعض الكتاب بـ (ايسوب العرب)[٦] استناداً الى الشبه بين الأمثال المنسوبة الى ايسوب وما ورد عن لقمان[٧].

ينبغي ان يُعلم ان مجموعة من امثال ايسوب جُمِعت في القرن الخامس قبل الميلاد ويعود تاريخ اقدم نسخة منها الى ٣٠٠ ق.م ويرى كثير من المؤرخين والكتّاب ان ايسوب نفسه لم يكتب تلك الامثال وانما لُفقت بعده بقرون؛ بل قسم منها يعود الى ما قبل زمانه وترجع جذور بعضها الى عهودٍ متأخرة كثيراً عن عصر ايسوب. اضف الى ذلك، ان بلانودس (١٣٠٠ م) الذي جمع هذه القصص كان بنفسه له دخل في كتابة بعضها ونسبته الى ايسوب[٨] وكيف كان فلهذه المجموعة اثر عظيم في الثقافة الاوربية بحيث تعتبر مصدراً من مصادر التعاليم الاخلاقية عند الشعوب الغربية وحيث انها ترجمت من اليونانية الى السريانية وانتشرت في الشام فقد اثرت على التدريج أثرها في الشرق أيضاً حتى بدت بصورة مجموعة ونسبت الى لقمان الحكيم[٩].

ولعل هذا هو السبب في ظن المحقق الفرنسي (غوساف لوبون) ان لقمان الحكيم قد اخذ حكاياته من ايسوب ولا اقل من ان مصدرهما واحد[١٠]. كما ان

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

(فولتر) الفيلسوف والكاتب الفرنسي الشهير في القرن الثامن عشر من الميلاد يرى ان لقمان الحكيم وايسوب شخصيةٌ واحدة.

ونُشير الى ان ايسوب لم يكن معروفاً عند كتاب الشرق القدماء كما ان اسم لقمان قد ورد في المعاجم الاوربية منفصلاً عن ايسوب بينما ان بعض الكتاب الايرانيين في القرن الحاضر وقبيلها ظن ان لقمان المشرق هو نفسه ايسوب المغرب واضافوا ان علماء المغرب قاموا بشرح حياته افضل من المشارقة كما ان لافونتن الشاعر الفرنسي الكبير في القرن السابع عشر من الميلاد ترجم حياة ايسوب معتمداً على الاساطير والقصص المذكورة في «امثال ايسوب»[١١].

وجدير بالذكر ان لا فونتن نفسه قال في مقدمة احدى اساطيره ما مضمونه: اقول بالحقيقة انني مدين في بعض اساطيري للحكيم الهندي (بيد باى)[١٢] الذي يعتبره الهنود اقدم من ايسوب وأكثر اصالةً منه لو ان ايسوب لم يُخف نفسه تحت اسم لقمان الحكيم[١٣].

وبيدباى هذا كما قال اصحاب النظر في الادب السنسكريتي والهندي كان ذا سهمٍ وافر في ظهور[١٤] امثال ايسوب وليُعلم ان حكايات كليلة ودمنة منذ عهودٍ ـ ولعلها قبل ترجمتها الى اللغة البهلوية ـ كانت في اليونان على شكل قصص ايسوب مأخذاً للتقليد والانتحال ثم اقتبست في امثال لافونتن بصورة مباشرة[١٥].

الحقيقة ان حياة ايسوب قد اختلفت في ظلمة الاوهام والاساطير. فيذكر انه ولد في ٦٣٠ ق.م[١٦] ومات في ٥٦٠ أو ٥٠٠ ق.م وانه كان في بداية امره عبداً في آتن و«ساموس»[١٧] ثم اطلق سراحه وقام بالسياحة والتجوال فزار مصر وبابل وبعض مناطق الشرق وفي نهاية مطافه وصل الى بلاط (كرزوس)[١٨] ومع كونه ـ كما يقال ـ كريه المنظر، الكن، احدب فان ذكائه الحاد أدّى الى ان يتخذه الملك لنفسه ويهتم بامره حتى ان يأمره ان يستصحب هدايا منه الى معبد (دلف)[١٩] فقام به إلّا انه لما رأى نفاق كهنة المعبد تعجب ونفر وتحدث بالطعن فيهم فانتقموا منه انتقاماً شديداً بان اخفوا الكأس الذهبي الخاص بآلهة المعبد في متاعه ثم اتهموه بالسرقة وحكموا عليه بالموت ورموه من أعلى صخرة فمات[٢٠].

وهناك حكاية اخرى في قتله، خلاصتها ان ايسوب لما امره الملك بايصال الهدايا الى المعبد اخذها لنفسه فقبض عليه وحكم عليه بالقتل للخيانة في الاموال[٢١].

هذا وتوجد حول ايسوب قصص مشهورة ليست بعيدةً عما وردت من لقمان ومن جملتها ان مولى ايسوب امره يوماً بالذهاب الى السوق وشراء افضل الاشياء. فاشترى شيئاً من لسان الكبش وقال: لا شيءٍ افضل من اللسان فهو الذي يربط بين الناس وهو مفتاح جميع العلوم وركن الحقيقة والعقل والوسيلة لمدح الله تعالى. ثم ان مولاه لاجل ان يعرضه للحرج طلب منه ان يشترى له اسوء الاشياء ولم يشتر ايسوب في هذه المرة ايضاً سوى اللسان وقال: اخبث شيءٍ في الدنيا هو اللسان لانه أساس الجدال ومصدر المنازعات[٢٢] ومن هنا فانه قد انتشر في اللغات الاوربية المثل القائل: «مثل لسان ايسوب» يريدون به كل كلام، له تأويلان متباينان احدهما يستوجب المدح والآخر يستلزم القدح[٢٣] وقد ورد بشأن لقمان أيضاً ان مولاه امره ان يذبح شاةً ويأتيه بالطيب مضغتين منها، فاتاه باللسان والقلب ثم امره بذبح شاةٍ اخرى وقال له: آتني بأخبث مضغتين منها فاتاه بالقلب واللسان فقال: انهما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا[٢٤]. وكذلك قصة مقامرة مولى لقمان على ان المغلوب فيها يشرب جميع ماء البحيرة وفكرة لقمان في حل المعضلة[٢٥] ونظيرتها مراهنة القس مع امبراطور الروم ومعالجة المشكلة بتدخل ايسوب[٢٦] وكذلك قصة اكل الغلمان للفواكه واتهام لقمان بذلك التي وردت في المصادر التاريخية

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

والتفسيرية والروائية باختلاف يسير[٢٧]. فقد ورد مثلها بشأن ايسوب[٢٨].

حيث ان لقمان قد عُرفَ في الغرب ابتداءً عن طريق الحكايات المذكورة في كتاب امثال لقمان المنحول والمجعول والذي كتبه شخص مجهول وعُثر لاول مرةٍ على نسخةٍ منه في باريس، فان المقارنة بين لقمان وايسوب قد وردت على اذهان الاوربيين ومع كل هذا فانه وكما قال «ب. هلر» لا يوجد في الكتاب المذكور من امثال النعامة والضبع والذئب والجمل من الحيوانات التي كانت تشكّل شطراً في حياة العرب أي ذكر وأثر هذا الأمر أدى الى الشك في نسبة هذه الحكايات الى لقمان[٢٩].

ومن الممكن ان يكون الكتاب ترجمةً لقسم من حكايات ايسوب الواصلة الى العالم العربي من خلال النصوص السريانية في مناطق المسيحيين في الشام[٣٠] والكتاب كما قال بعض المعاصرين من العرب مع عدم ذكره في الآثار العربية القديمة قد حوى الكثير من العبارات المبهمة مضافاً الى الضعف في الاسلوب والاخطاء النحوية والصرفية مما يدلنا على ان هذه المجموعة نُقلت من لغة اخرى ويحتمل انها الآرامية الى اللغة العربية[٣١].

فلا ينقضي العجب من بعض الفضلاء والكتاب العرب والايرانيين ممن كانت المصادر الاصلية في متناول ايديهم كيف مالوا الى مقارنة ايسوب ولقمان الحكيم وكيف اعتبروهما شخصاً واحداً.

واعجب منه ما يظهر من الطنطاوي المفسر العربي المعروف الذي صرّح بالوحدة واقعاً بين ايسوب ولقمان من غير ادنى تردّد ناظراً الى نفسه وكأنه اكتشف حقيقة جديدة والغريب ان مستنده الوحيد في ذلك هو الاشتراك المضموني لاساطير ايسوب مع محتويات كتاب امثال لقمان والتشابه المتراءي بينهما[٣٢].

فلو انه وسائر المحققين راجعوا اولاً وقبل كل شيء الى المصادر الاسلامية والشيعية لحصل لهم العلم بان الحكم الموجودة في الاحاديث الاسلامية باسم لقمان تختلف كثيراً عن اساطير وامثال ايسوب في الأدب الافرنجي وان كان بعضهم كـ (بلانودس) سعى خلال ابراز وحدة الجذر بين لفظ ايسوب و «ايتيوبيا» الى اثبات القول بوحدة ايسوب ولقمان الحبشي[٣٣].

فلا محيص من القول بان بعض الحكايات المشتركة في المضمون كانت من باب توارد الخواطر أو انها تلقيت بعد نشر قصص ايسوب في البلاد العربية. وجدير بالتأمل انه لا يمكن عدّ اقوال لقمان واعتبارها امثالاً واساطير ـ كما نعد منها ما أُثر من ايسوب ـ حيث ان العمدة في كلام لقمان من ناحية القالب ليست إلّا صوراً من العظات والعبر ومن ناحية المضمون قضايا واحكاماً تدعو الى التوحيد والزهد والتوجه الى الحساب الالهي الدقيق والجزاء يوم القيامة والثواب والعقاب وما الى ذلك واما ما ورد في الكتب أو اشتهر على الالسن من امثال ايسوب فهو عبارة عن قصص بسيطة ساذجة بدائية على لسان الكلب والذئب والحمار وامثالها وبمضامين ارضية والتي يمكن العثور على امثالها كثيراً في الادب الفارسي والعربي وغيرهما لان القصة والاسطورة لا تعرف موقفاً ولا تقف على حدٍّ. حيث انها صور من صراع الانسان مع نفسه وكفاحه ضد الطبيعة على كر الليالي والايام والشهور والاعوام فمن البديهي ان يكون بينهما أُسس وجذور مشتركة كثيرة.

وكيف كان فالبون والاختلاف بين قصص كأساطير ايسوب التي تحكي في الغالب عن أهل الارض وتطلعاتهم المحدودة بهذا الافق والحكم السامية الالهية للقمان التي تمثل قمّة العارفين لحريم المعرفة والسلوك هو كالبون بين السماء والارض.

هذا وليتذكر ان اساطير وامثال ايسوب برمتها

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

تحتوي على مضامين بنائة ايجابية يمكن لعامة الناس ـ كل حسب نفسيته وذهنه وحدسه ـ تفسيرها والاستيحاء منها بما يناسب حاجته الاخلاقية والنفسية وربما يكون في النتائج الحاصلة من قصةٍ واحدة ـ على كونها ايجابية ـ اختلاف يسير أو كثير فاليك مثلاً هذه القصة من مجموعة اساطير ايسوب: رأى ثعلبٌ جائع قليلاً من الخبز واللحم في ثقب شجرة بلوطٍ كان من بقايا طعام لبعض الرعاة فدخل الشجرة واكله فانتفخ بطنه ولم يستطع الخروج منها. فمر ثعلب به وسأله عما فيه فلما قص عليه قال له الثعلب: اذن فابق في مكانك حتى تضعف وتعود كما كنت سابقاً فتستطيع الخروج بسهولة[٣٤].

فيمكن لشخص ان يحصل من القصة على ان المشاكل والمعضلات الدنيوية ستذلل على مر الليالي والايام إلّا انه ورد في بعض النصوص الدينية لليهود في شرح نظيرتها ان صرف العمر في السعي لجمع المال عمل لا يرضاه العقل السليم وذلك لان الدنيا فانية غير باقية وكما جاء الانسان اليها فسيخرج بنفس الحالة منها[٣٥].

فيلاحظ ان كلتا النتيجتين على اختلاف مضمونيهما ايجابيتان ويمكن لثالثٍ ان يحصل منها على ان لكل لذة في الدنيا ضريبة لابد لمن انتفع بها ان يغرمها ولرابع ان يحصل على ان الرياضات سبب للتحرر وامتلاء البطن يسبب التعس والوضاعة وما الى ذلك.

٣ـ لقمان واحيقار.

اعتبر بعض المحققين لقمان واحيقار شخصاً واحداً لما يوجد من المناسبة والترابط بين بعض امثال وحكم لقمان وما أُثر عن احيقار[٣٦].

قد يقال ان هذا الرأي لم يكن جديداً إلّا انه اخيراً حاز على شهرةٍ بين اصحاب النظر[٣٧].

يعتقد «راندل هاريس»[٣٨] من محققي الغرب ان لقمان واحيقار شخص واحد لاسباب معينة عدّها؛ ومن جملتها ان كلاً منهما قد عُرف بالحكيم وينصح ابنه قد تكرر في اقوالهما «يا بني» وانه مع وجود الاختلاف بينهما في المسائل المطروحة فان هناك اشباهاً واضحة بين اقوالهما مثل ما جاء عن بعض المفسرين ان لقمان كان ابن اخت لايوب عليه السلام و«ناداان» المخاطب في نصايح احيقار ايضا ابن اخته و...[٣٩].

من الواضح ان الاسباب المذكورة وان امكن ان تشكل احتمالاً إلّا انها عاجزة عن اثبات المدعى. لان لقمان ينصح ولده واحيقار ينصح ابن اخته ولا ينحصر قول «يا بني» في الادب العالمي بهذين الشخصين، كما نشاهد من باب المثل: آذر باد الحكيم الايراني[٤٠] حينما ينصح ابنه يكرر قول «يا بُنيَّ» ومثله في الحكماء كثير واما التشابه بين مضمومنين أو عبارتين فالواقع أنه توجد بين ما أُثر عن احيقار والحكم المنسوبة الى لقمان اشباهٌ واضحة تدعو الى التأمل بحيث يظنّ احدُهما ترجمةً للآخر ومن جملتها ان احيقار يقول في موضع: يا بُني اذا ارسلت الحكيم في حاجةٍ فلا توصه كثيراً لانه يقضي حاجتك كما تريد ولا تُرسل الاحمق بل امض انت واقض حاجتك[٤١].

وقد نسب الى لقمان شبيهه حيث يقول: ارسل حكيماً ولا توصه[٤٢] والمقصود ان الحكيم يعرف صلاح العمل وليس بحاجة الى وصيةٍ[٤٣] وكذلك ما قاله لقمان: يا بني لا تبعث رسولاً جاهلاً فان لم تجد رسولاً حكيماً عارفاً فكن رسول نفسك[٤٤].

زعم أبو هلال العسكري ان الجملة الاولى صدرت من زبير بن عبد المطلب لانها موجودة في شعره[٤٥]. ومعلوم ان الاستفادة من حِكم الآخرين في الشعر امر رائج دارج ومجرد وجودها في شعرٍ لا يوجب القول بكونها من ابداع الشاعر.

نقل القطب الراوندي في رواية مسندة الى الامام الصادق عليه السلام هذا الكلام من لقمان بقوله: يا بنيّ

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

لا تتخذ الجاهل رسولاً فان لم تصب عاقلاً حكيماً يكون رسولك فكن انت رسول نفسك[٤٦].

وعلى كل حال فان هناك موارد كثيرة من التشابه بين اقوال لقمان واحيقار؛ إلّا ان وجودها لا يثبت الحكم بوحدة الشخصين بوجهٍ. هذا مع غض النظر عن الاختلاف الكثير بين زمانيهما على ما ورد في كتب التاريخ والآثار.

واعتبر الدكتور عبد المجيد عابدين المحقق المعاصر العربي فكرة وحدة احيقار ولقمان اقدم من استظهارات «راندل هاريس» ببيان ان مصادر بعض المتقدمين كابن قتيبة والسهيلي تعتبر اسم «نادان» أو شبهه لابن لقمان مع ان ما اشتهر في مصادر الاقدمين هو «لقيم بن لقمان» ولعل التغيير المفاجئ له جذور في احساس اصحاب مصادر ابن قتيبة والسهيلي في وحدة لقمان واحيقار فحيث وجد هؤلاء مناسبةً جادّةً بين هذين الشخصين جعلوا «نادان» اسماً لابن لقمان بدلاً من لقيم ليواطئوا احساسهم.

ولا داعي لنا في نقد هذا الكلام وردّه هنا بعد ان ذكر «نادان» وشبهه في روايات الشيعة عن الائمة المعصومين عليهم السلام اسماً لابن لقمان.

وقد تبيّن في محله ان لقمان الذي كان اباً للقيم هو لقمان بن عاد الشخصية الاسطورية الحميرية على ما ورد في الامثال.

من هو احيقار؟

كان احيقار وزيراً وكاتباً لـ«سنا خريب» ملك آشور (٧٥٠ ـ ٦٨١ ق م) وكان ذا سلطة جبارة وثروة كثيرة وجامعاً بين الحكم والحكمة الى حد صار فيها مثلاً.[٤٧] وقد تزوج من ستين امرأةً ولم يخلف منهن؛ لكونه عقيماً فتبنى ابن اخته «نادان»[٤٨] واخذ يربيه وجعله وصياً لنفسه في بلاط الملك إلّا ان «نادان» وشى به عند الملك لخبثه وسوء سريرته وحرضه على قتله واستطاع احيقار التخلص من القتل بمساعدة جلاده المأمور بقتله واختفى، ولما تعرّض الملك لتهديدٍ من فرعون مصر اظهر الندامة على قتل احيقار فحان ان ابدى نفسه وقدر على حل المعضلة[٤٩] وانقاذ آشور من فرعون وجيشه الهاجم.

فسلم الملك «نادان» اليه ليصنع به ما شاء. فاودعه احيقار السجن وكان يُسمعه المواعظ البنّائة والمنذرة من الامثال والحكم ثم سلمه الى الهلاك[٥٠].

وليعلم أن احيقار هذا على ما جاء في كتاب طوبيا كان وزيراً آشورياً بينما انه ابن اخت طوبيت اليهودي[٥١] مع ان القصة لا علاقة لها بتاريخ اليهود وكما علمت انها آشورية[٥٢].

وقد حازت قصة احيقار الحكيم وابن اخته «نادان» النفوذ والاثر الثاقب في الشعوب وانعكست بعد ذلك في حكايات ايسوب اليوناني وقصة لقمان وبوذرجمهر وذكر المحققون ان لها صوراً مختلفة في الادب القديم السرياني والارمني والحبشي واليوناني والعربي ولا سيما في مناطق الآراميين واليهود القديم. ومن المعلوم ان قدماء العرب قد تعرفوا على احيقار من خلال مصادر اهل الكتاب، فقد ورد هذا الاسم في شعر «عدي بن زيد» الشاعر المسيحي في الحيرة حيث يقول:

فبتُّ أُعدي كم اسافت وغيرت
وقوع المنون من مسودٍ وسائد
صرعن قباذاً رب فارسِ كلها
وحشت بايديها بوارق آمد
عصفن على الحيقار وسط جنوده
وبيتن في لذاته رب مارد[٥٣]

والمسلمون في بدء ظهور الاسلام كانوا عارفين ببعض الكتب المقدسة لليهود مثل طوبيا[٥٤] إلّا انه يجب الالتفات كما ذكر الى ان اصل قصة احيقار تعود الى الثقافة الآشورية في عهد الهخامنشين أي الآشور بعد الانقراض[٥٥] كما ان اقدم نسخة موجودةٍ لقصة احيقار

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

التي خلت من كثيرٍ من تفاصيلها تم الحصول عليها من بابيروس المهاجرين في مصر وتعود الى عهد الهخامنشين وتشير النسخة التي تعود الى حدود (٤٠٠ ق.م) الى ان تأليف القصة يعود الى ما بعد عهد آشور وقبل انتهاء سلطة الهخامنشين[٥٦].

وكيف كان فقد ظهر من خلال هذه التفاصيل ان اثبات العلاقة بين ما ورد بشأن احيقار مع ما أثر في لقمان الحكيم من الاقوال الكثيرة على لسان اهل البيت عليهم السلام فضلاً عن وحدتهما دونه خرط القتاد وتعسف لا سند له، وقد ذكر ان (بلانودس) الذي جمع امثال ايسوب حاول ايجاد علاقة بينهما اعتماداً على شهرة احيقار عند اليونانيين فاختلف ابن اخت يسوب ووصفه بالخيانة ـ كما ورد في ابن اخت احيقار ـ طابق النعل بالنعل والقذة بالقذة واختلق بدلاً من سنا خريب ملك آشور ملكاً يونانياً باسم «ليكوروس»[٥٧] وبذلك هيأ الارضية المناسبة لولادة فكرة الوحدة لمن جاء بعده والله الهادي.

لقمان والكمئون.

ان كلمة لقمان الذي صرح البعض بكونه اعجمياً شبيهاً بالعربي[٥٨] ولا اقل من ترجيحه[٥٩] أو احتماله[٦٠] تذكّر الكمئون فهو ايضاً مثل ايسوب حاز مكانةً عند كرزوس بل قد يذكر انه هو الذي حل بعض الغاز معبد دلف للملك.

يقول أحد الفضلاء المعاصرين: لا يبعد انه وبعد مضي قرون ان تقترن حكايات ايسوب باسم الكمئون، الذكي الذي حل بفطنته وذكائه المشكلة المعقدة لمعبد دلف ويمكن ظهور لقمان من بين هذا[٦١]. وظاهر ان مراده ـ ان كان ولابد ـ هو لقمان الذي رسمته قصص الكتاب المجهول الجعول باسم امثال لقمان في اوربا وليس غيره.

وقد ورد في واقعة المعبد المذكور ان الكمئون قام بخدمة مندوبي الملك حينما وردوا لاجل المشورة مع مؤذن المعبد واتاح لهم اسباب الراحة فاحرز بهذا عناية خاصة ومقاماً سامياً عند كرزوس فدعاه الى بلاطه واذن له ان يدخل خزانة السلطنة مرةً واحدة ويأخذ منها ما شاء من الذهب فما لبث الكمئون بعد التأمل ان لبس ملابس فضفاضة وتوجّه نحو الخزانة وحمل ما استطاع من الذهب حتى قيل انه ملأ فاه منه ولما رآه كرزوس يمشي بصعوبة عند باب الخزانة من ثقل الذهب والحلى ضحك ومنحه هدايا ثمينة اخرى مع ما حمل[٦٢].

قد يذكر بشأن الرجل انه لم يُعرف اسمٌ من بين معاصري فيثاغورس الحكيم ممن له اثر ثاقب في حركته الفكرية والفلسفية كما كان لـ(الكمئون) فان هناك شواهد تاريخية دقيقة حول هذا العالم المفكر الى حدٍّ ربما لقب بالمعلم الاول[٦٣].

نقل عن ارسطو: ان الكمئون كان شاباً في شيخوخة فيثاغورس ويعتبره جورج سارتون اكبر طبيب يوناني قبل بقراط وكان معاصراً وتلميذاً لفيثاغورس[٦٤] بل اكبر طبيب في مدرسة التصوف الفيثاغورسي الذي انتشر في جنوب ايطاليا[٦٥] وقيل انه ولد في نهاية القرن السادس قبل الميلاد ونضج وترعرع اوائل القرن الخامس.

وقال «بى يرروسو» ان الكمئون كان يدرس في مدرسة كروتون وهناك علاقة مباشرة لفيثاغورس مع هذه المدرسة[٦٦] وقيل ان أكثر نظرياته في الطب بل اشتهر باعتباره طبيباً[٦٧] وقد عُرف بانه حصل على ملاحظات دقيقة في كيفية عمل الاعصاب بتشريح بدن الانسان وربما كان هذا سبباً لادعائه ان مركز الاحساس والحركة والمعرفة هو الدماغ دون القلب[٦٨] وهذا ما استحسنه افلاطون وردّه ارسطو[٦٩] ثم ان محاولاته الفلسفية الرامية الى فهم الروح ومسائلها جعلته ينعزل عن نشاط الاطباء وينخرط في سلك

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

الفلاسفة[٧٠] وقيل ان آرائه في خلود الروح وكيفيتها قد اثرت في ارسطو وكذلك اشتهر انه قد ابدى عقيدةً في معرفة النفس فاهتم بها اصحاب فيثاغورس بعده كثيراً ومحصلها ان الارواح كالاجسام ذات حركات فلكية دورية ابدية[٧١].

قيل ان افلاطون في رسالة فايدروس اخذ هذه العقيدة من الكمئون وقال بالحركة الدائرية للروح وخلودها[٧٢]. مع انه لا توجد في رسالة فايدروس اشارة الى مثل هذا الاقتباس عند توضيح الحركة الدائرة للروح[٧٣].

قيل ان الكتاب الاصلي والكثير مما كتبه الكمئون ضاع ولم يبق منه إلّا نزر يسير[٧٤] وكيف كان لو كان ما نقله مؤرخو الفلسفة عن «الكمئون» له نصيب من الواقع فانه يجب القول على نحو القطع انه لا علاقة بين لقمان والكمئون ابداً وليس هناك سند علمي وتاريخي يؤيد الحدس والاحتمال الذي أبداه المستشرقون والكتّاب العرب والايرانيون ومثله في السخافة ما ذكره جرجي زيدان من ان لقمان الحكيم يُشبه شاعراً حكيماً ينحو هذا الاسم عند اليونان (الكمان) من اهل القرن السابع قبل الميلاد وهو من اقدم من نظم الشعر الغنائي[٧٥]. فانه لا يمكن اثبات أكثر من الشبه الصوري في الاسم ويبدو من اقوال المؤرخين ان «الكمان» هذا الذي كان مدرباً للراقصات والمغنيات في زمانه لم يُعرف إلّا بكونه اشره انسان في العصر القديم وله ميل شديد الى النساء ولم يعرف عنه الا سفك الدماء والافراط في شرب الخمر الى حد الموت في حال[٧٦] السكر فكيف يمكن مقارنة مثل هذه الشخصية الفاجرة مع لقمان الحكيم؟!

لقمان وبلعام

بما ان لقمان شخصية غير عربية فان البعض ـ معتمداً على مناسباتٍ فرضية ـ ذهب الى ان كلمة لقمان عبرية معرّبة اصلها بلعام وهو اسم رجُلٍ عاصر موسى عليه السلام وقد ورد ذاك الاسم ضمن قائمة معارضي هذا النبي العظيم عليه السلام في التوراة[٧٧] وان بعض المفسرين ـ على ما اورده بعض المعاصرين العرب تبعاً للاوربيين ـ اعتبر لقمان الحكيم لقمان بن باعور؛ نظراً الى ان بلعام ايضاً عرف في التوراة بانه بلعام بن باعور. مع القول بان لقمان هو ترجمة بلعام وان لقم وبلع كلاهما بمعنى وهو الاكل وشاع هذا بين المفسرين تابعاً بعضهم لبعض آخر مما حدا بشرذمة من كتاب الغرب الى التصريح بان بلعام هو لقمان وكلاهما شخص واحد.

وليلاحظ ان شخصية بلعام وصورته المشهورة في التوراة تختلف كثيراً عما ابانته الروايات الاسلامية عن لقمان. فبلعام قد عُرف بانه مخادع محتال وفاسد مختال وانه مطرود من الباب على ما ينادي به الكتب المقدسة كالتوراة[٧٨] واين هذا والقدسية التي يُعلن بها القرآن في لقمان.

يقول برنارد هلر: لما اراد المفسرون ان يختلفوا عُلقةً بين هاتين الشخصيتين ـ بأية وسيلة كانت ـ اعتبروا لقمان ابناً لباعور من جهة وابن اختٍ لايوب من جهةٍ أُخرى[٧٩].

نحن لا نعرف غرض المفسرين في البحث عن نسب لقمان بما ذُكِر إلّا انه ـ كما أشرنا ـ يبدو من مضامين التوراة والعهد الجديد ان بلعام هذا كان من معاصري موسى عليه السلام قبل ظهور داود عليه السلام بـ ٤٠٠ الى ٥٠٠ سنة وفي البدء كان له ميل الى الفساد[٨٠]. وبعد ذلك حين ما نطق حماره ناصحاً له ـ على ما في التوراة ـ فتح عيناه[٨١] ثم وُبّخ بعد ذلك[٨٢] وفي مواضع من التوراة ان بلعام قُتل على يد جيش موسى عليه السلام حينما هجم على مدين[٨٣] وهكذا وردت في المصادر الاسلامية ايضاً.

وفي بعض الروايات أن الآية الشريفة ﴿واتلُ عليهم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾[٨٤] تشير الى هذا الشخص[٨٥]. ومع هذا التفصيل، لا حاجة لنا بالتأكيد على ان الفرق بين لقمان الحكيم وبلعام بن باعور كالفرق بين النور والظلام.

وههنا مباحث اخرى نحيلها الى مقالة فيما بعد ان شاء الله تعالى و ﴿ولعل الله يحدث بعد ذلك امراً﴾ والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ ـ د. عبد الحسين زرين كوب، از چيزهاى ديگر، انتشارات جاويدان، ط ١، ١٣٦٤ ش، ص ٦٩.

٢ ـ هناك كتب كجمهرة الامثال لابي هلال العسكري والمستقصى الزمخشري والامثال للضبي مليئة بهذه الامثال انظر الى نماذج منها في مجمع الامثال للميداني، بيروت، دار الفكر، ط ٣، ١٣٨٩ ق ج ١، صص ٣٥ ـ ٣٩، ص ٨٦، ص ١٢٥، ص ٢٦٢ ص ٣٦٤ ص ٣٨٨ / ج ٢ ص ٥١، ص ٣٨٨ ص ٤٢٧.

٣ ـ الجاحظ، رسائل الجاحظ الرسائل السياسية، فخر السودان على البيضان، دار ومكتبة الهلال، ط ١، ١٩٨٧ م ص ٥٣٠.

٤ ـ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، ط ١، ١٣٤٥ ق، مصر ج ١ ص ١٣٦.

٥ ـ د. خالد الصناديقي، قصص القرآن والقصص في الديانات الاخرى، ط ١، ١٩٩٦ م دمشق. طلاس للدراسة والترجمة والنشر ص ١٨٣ / انظر ايضاً د. محمد عجينة، موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ج ٢، ص ١١٨ /احمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٨٧١.

٦ ـ د. جواد علي، مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٤٦.

٧ ـ فيليب حتى و...، تاريخ العرب ص ٤٧٢ / مقالة B heller (لقمان) دائرة المعارف الانجليزية.

٨ ـ د. عبد المجيد عابدين، الامثال في النثر العربي القديم ص ١٨٧.

٩ ـ علي اصغر حكمت، امثال قرآن ص ٢٩.

١٠ ـ غوستان لوبون، حضارة الاسلام والعرب (الترجمة الفارسية) ص ٥٧٨.

١١ ـ برناردن (سن پير)، كلبه هندى ترجمه وانشاء محمد حسين خان الفروغي ص ٧٣ ـ ٧٤.

١٢ ـ «بيدباى» باللغة السانسكريتية بمعنى صاحب العلم (اعلام المنجد) وهو اسم فرضي للاسطورة التي يحكيها الهنود (فرهنگ نظام ج ١ ص ٧٩١) وكان نديماً لدابشليم الراجه الهندي الكبير ويشاهد اسمه كثيراً الى جانب دابشليم في بداية ابواب كليلة ودمنة لابن المقفع لحاكي القصص.

١٣ ـ محمد جعفر محجوب، درباره كليله ودمنه ص ٢٣١.

١٤ ـ الامثال في النثر العربي القديم صص ١٨٦ ـ ١٨٨.

١٥ ـ ويل دورانت، قصة الحضارة الترجمة الفارسية، ج ٢، ١٦٤.

١٦ ـ الامثال في النثر العربي القديم، ص ١٨٧.

١٧ ـ جزيرة في اليونان.

١٨ ـ كرزوس ملك ليدى (تركيا الحالية تقريباً) كان حاكماً عليها من سنة ٥٦٠ الى ٥٤٦ ق م (تاريخ ملل قديم آسياى غربى ص ٣١٨) وتم سقوط مملكته في السنة المذكورة على يد كورش ملك ايران وللمزيد من الاطلاع، انظر حسن پيرنيا، ايران باستان، كتاب ٢ ص ٦٨ وص ٢٩٣.

١٩ ـ المركز الديني المهم في اليونان.

٢٠ ـ ويل دورانت قصة الحضارة الترجمة الفارسية ج ٢ ص ١٢٤.

٢١ ـ نفس المصدر.

٢٢ ـ كلبه هندى ص ٧٢.

٢٣ ـ على اصغر حكمت امثال قرآن ص ٣٠.

٢٤ ـ الكشاف ج ٣ ص ٣٣١ / قصص الانبياء (العرائس) ص ٢٩٤ / حياة الحيوان ج ١ ص ٥٨٤ / ربيع الابرار ج ١ ص ٨٦٣.

٢٥ ـ ابن الجوزي، كتاب الاذكياء ص ٢٣.

٢٦ ـ د. محمد خزائلي، اعلام قرآن ص ٥٣٦ / مقالة في دائرة المعارف «الانجليزية».

٢٧ ـ العرائس ص ١٩٤.

٢٨ ـ د. محمد خزائلي، اعلام قرآن ص ٥٣٦.

٢٩ ـ اعلام المنجد / ايضاً انظر ج. م عبد الجليل، تاريخ ادبيات عرب، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٣٠ ـ مقالة لقمان في الدائرة.

٣١ ـ الامثال في النثر العربي القديم ص ١٨٦ ـ ١٩٠ / احمد امين، فجر الاسلام ص ٦٢ ـ ٦٨.

٣٢ ـ الطنطاوي، تفسير الجواهر ج ١٥ ص ١٢٥.

٣٣ ـ الامثال في النثر العربي القديم، ص ١٨٨.

٣٤ ـ افسانه هاى ازوپ ترجمتها الفارسية، على اصغر حلبى، ٣٠.

٣٥ ـ گنجينه‌اى از تلمود ص ٨٨ ـ ٨٩ نقلا عن قوهلت ربا (شرح كتاب الجامعة) ج ٥ ص ١٤ ـ ٢٠.

٣٦ ـ مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٨، ص ٣٤٦.

٣٧ ـ از چيزهاى ديگر، ص ٥٣٧.

٣٨ ـ Rendel Harris

٣٩ ـ الامثال في النثر العربي القديم ص ٧١٣ ـ ١٣٨ / صص ٣٧ ـ ٣٨.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

٤٠ـ الحكمة الخالدة «جاويدان خرد» ص ٢٦.
٤١ـ مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٤١.
٤٢ـ مجمع الامثال ج ١ ص ٣٠٣.
٤٣ـ الامثال مجهول المؤلف ق ٥ طبع حيدرآباد، ١٣٥١هـ ق ص ٢١.
٤٤ـ المستطرف، ج ١، ص ١٩١.
٤٥ـ

اذا كنت في حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه
وان باب عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

جمهرة الامثال، ج ١، ص ٨٤.
٤٦ـ قصص الانبياء صص ١٩٦ / ١٩٧.
٤٧ـ مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ٣٣٨.
٤٨ـ صُحِّف هذا الاسم في المصادر العربية الى (ناداب، باران، تاران، آمان، ماتان، ناتان، باثار، بآثار و ...) مقدمة الترجمة الفارسية لكتاب احيقار، للاستاد حسين التوفيقي.
٤٩ـ قصة المعضلة وحلها وردت في كتاب احيقار الفصل الرابع.
٥٠ـ راجع تاريخ مردم (ايران قبل از اسلام) للاستاذ د. عبد الحسين زرين كوب ص ٢٢٦ /از چيزهاى ديگر ص ٨٠.
٥١ـ كتاب طوبيا ص ٦ (في مجموعة الكتاب المقدس).
٥٢ـ تاريخ مردم ايران (ايران قبل از اسلام) ص ٢٢٦.
٥٣ـ الحماسة ص ١٢١.
٥٤ـ الامثال في النثر العربي القديم ص ١٣٩.
٥٥ـ ابتدأت امارة سلسلة الهخامنشين في فارس في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد ولكن ظهور قدرة كورش الكبير وسلطنته كان في ٥٥٩ ق.م (حسن پرينا، ايران باستان كتاب ٢ كورش كبير صص ٢٣٠ـ ٢٣٧) وفي هذا التاريخ كانت الامبراطورية الآشورية قد انقرضت تماماً حيث انه في ٦١٢ ق م تم حفيد سنا خريب «سين شار ايشكون على يد ملك بابل وسقطت الامبراطورية، راجع تاريخ ملل آسياى غربى صص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.
٥٦ـ تاريخ مردم ايران (ايران قبل از اسلام) ص ٢٢٧.
٥٧ـ الامثال في النثر العربي القديم ص ١٨٨.
٥٨ـ املاء ما من به الرحمن ج ٢ ص ١٨٨.
٥٩ـ البيان في غريب اعراب القرآن ج ٢ ص ٢٥٥.
٦٠ـ الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه ج ٢١ ـ ٢٢ ص ٧٨.
٦١ـ از چيزهاى ديگر صص ٨٠ ـ ٨١.
٦٢ـ تاريخ ملل آسياى غربى صص ٣٢٠ ـ ٣٢١.
٦٣ـ تاريخ علم لـ«جورج سارتون الترجمة الفارسية ج ١ ص ٢٢٨.
٦٤ـ مقدمة بر تاريخ علم لـ«جورج سارتون الترجمة الفارسية ج ١ ص ١٢٨.
٦٥ـ تاريخ علم ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٦١.
٦٦ـ تاريخ علوم لـ«بى يرروسو» الترجمة الفارسية ج ١ ص ٦٩.
٦٧ـ سير حكمت در يونان لـ«شارل ورنو» الترجمة الفارسية ص ١٥.
٦٨ـ علم در تاريخ لـ«جان برنال» الترجمة الفارسية ج ١ ص ١٤٩.
٦٩ـ تاريخ علم ج ١ وص ٥٥٧.
٧٠ـ Edward craig, encyclopedia of ...
٧١ـ تاريخ علم ج / ٢٢٨.
٧٢ـ راجع نخستين فيلسوفان يونان صص ٢٢٦ ـ ٢٣٠.
٧٣ـ رسالة فايدروس (مجموعة آثار افلاطون) الترجمة الفارسية ج ١٣١٧ ـ ١٣١٩.
٧٤ـ مقدمه بر تاريخ علم ج ١ ص ١٢٨ / تاريخ علم ج ١ صص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
٧٥ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ صص ٥٠ ـ ٥١.
٧٦ـ تاريخ تمدن لـ«ويل دورانت» الترجمة الفارسية ج ٢ ص ٩٢ وص ٣٣٤.
٧٧ـ سفر اعداد ٢٢ / ٥ وايضاً ٢٣ و ٢٤.
٧٨ـ انظر امثال قرآن لعلى اصغر حكمت ص ٣٨.
٧٩ـ الامثال في النثر العربي القديم، صص ١٣٧ ـ ١٤١ / مقاله B.heller في دائرة المعارف الاسلامية.
٨٠ـ انظر العهد الجديد، رسالة يهودا ١ / ١١.
٨١ـ سفر اعداد، ٢٤ / ٥ و ١٦.
٨٢ـ وردت قصة توبيخ بلعام في الرسالة الثانية لبطرس الرسول ٢ / ١٦ و ١٧.
٨٣ـ سفر اعداد، ٣١ / ٨ و ٩ / صحيفة يوشع، ١٣ / ٢٢ و ٢٣.
٨٤ـ الاعراف ـ ١٧٥.
٨٥ـ انظر المصادر الاسلامية في ذلك في اعلام القرآن لعبد الحسين الشبستري صص ١٨٩ ـ ١٩٠.

* * *